

**أحاديث الأذكار والأدعية 86 - ما يقال في الاستسقاء**

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

**ما يقال في الاستسقاء**:

لقد شرع الله لعباده إذا أجدبت فيهم الديار وحصل القحط وقلَّت الأمطار أن يفزعوا إلى الصلاة والدعاء والاستغفار، ومن دعا الله وصدق في سؤاله أجاب سؤله {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}[غافر:60] . وفي سير الأنبياء عليهم السلام أنهم حثوا أممهم على الاستغفار وذكروا لهم من فوائده: نزول الامطار وحصول الخيرات؛ كما قال نوح عليه السلام لقومه {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا}[نوح:10-11] ، وقال هود عليه السلام: {وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا}[هود:52]؛ فالاستغفار والتوبة والدعاء سبب لنزول المطر، ولهذا شُرع للعباد أن يجتمعوا للصلاة والدعاء والاستغفار عند قحط الديار وجدبها وقلة الامطار.

**وقد ثبت في السنة دعوات عظيمات يشرع أن تقال عند قحط الديار وطلب الغيث.**

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : **أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وُجَاهَ الْمِنْبَرِ، وَرَسُولُ الله قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ الله قَائِمًا** **فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! هَلَكَتِ الْـمَوَاشِي، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُغِيثُنَا. قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ الله يَدَيْهِ فَقَالَ: ((اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا)) قَالَ أَنَسٌ:** **وَلَا وَاللَّـهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قَزَعَةً وَلَا شَيْئًا، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ، قَالَ:** **فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ، قَالَ: وَاللَّـهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا،** **ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمـُقْبِلَةِ، وَرَسُولُ الله قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله؛ هَلَكَتِ الأَمْوَالُ ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادْعُ اللهَ يُمْسِكْهَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ الله يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: ((اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا،** **اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالْجِبَالِ وَالآجَامِ وَالظِّرَابِ وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ))،** **قَالَ: فَانْقَطَعَتْ وَخَرَجْنَا نَمْشِـي فِي الشَّمْسِ**. رواه البخاري ومسلم.

قوله: «**فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! هَلَكَتِ الْـمَوَاشِي، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُغِيثُنَا**» أي بسبب تأخر الأمطار.

وقوله: «**وانقطعت السبل**» أي أن الإبل ضعفت لقله القوت عن السفر أو لكونها لا تجد في طريقها من الكلأ ما يقيم أودها، وقيل المراد نفاد ما عند الناس من الطعام أو قلته فلا يجدون ما يحملونه يجلبونه إلى الأسواق .

«**فادعُ الله أن يغيثنا**» أي: أن ينزل علينا الغيث يُكشف به ما بنا من جهد وشدة وكرب وضائقة.

«**فرفع رسول الله** **يديه ثم قال اللهم أغثنا اللهم أغثنا**» أي أنه شرع عليه الصلاة والسلام في التضرع إلى الله تبارك وتعالى والإلحاح إليه بأن ينزل الغيث.

قال أنس: «**وَلَا وَاللَّـهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قَزَعَةً وَلَا شَيْئًا**» أي أن الحال وقت مجيء ذلك الرجل أن السماء صحوٌ ما فيها سحاب، ولا فيها قزعة : أي وليس فيها حتى القطع الصغيرة من السحاب .

قوله: «**وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ**»؛ سلْع : جبل معروف في الجهة الغربية الشمالية من المدينة، أي ليس بيننا وبينه بنيان فنراه رؤيا واضحة دون أن يكون هناك ما يحجبنا عن رؤياه .

قال : «**فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ**» أي: جاءت من وراء الجبل سحابة على إثر هذا الدعاء العظيم ، وقوله: «مِثْلُ التُّرْسِ» أي: فِي الاسْتدَارة وَالكَثافَة.

قال: «**فلما توسطت السماء**» أي صارت في وسط السماء .

«**انتشرت ثم أمطرت**» المراد: أن السحابة طلعت صغيرة ثم انتشرت **.**

«**فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً**» أي أسبوعا كاملا.

«**ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمـُقْبِلَةِ، وَرَسُولُ الله قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله؛ هَلَكَتِ الأَمْوَالُ ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادْعُ اللهَ يُمْسِكْهَا**»؛ في الجمعة الأولى جاء يستسقي، وفي هذه جاء يستصحي لكثرة الماء وتزايد المطر حتىهلكت بسبب ذلك الأموال وانقطعت السبل، يطلب امساك هذه السحابة عنهم.

«**فرفع النبي** **يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا**» أي: اجعل هذا المطر حولينا وليس علينا.

قوله: «**اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالْجِبَالِ وَالآجَامِ وَالظِّرَابِ وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**»؛ الآكام: التِّلال، والآجام: الأشجار والحوائط، والظِّرَاب: الجبَال الصِّغار.

قوله: «**فَانْقَطَعَتْ وَخَرَجْنَا نَمْشِـي فِي الشَّمْسِ**» أي: توقف المطر وخرجنا نمشي والسماء صحو.

وهذا الاستصحاء لا يقال عند نزول المطر ابتداءً ، وإنما يقال إذا تتابع نزوله وكثر وخاف الناس من هذه المضار، فيدعى حينئذ أن يصرفه الله عن هذا المكان الذي كثر عليه الماء وخشيت المضرة فيه ، وأن يجعله في الجبال وبطون الأودية ومنابت الشجر حيث الانتفاع به مع عدم المضرة.

وفي هذا الحديث: عظم بركة الدعاء ، وأن الدعاء مستجاب إذا صدق العبد مع الله وألح عليه سبحانه، فلا يأتي بالحسنات إلا الله، ولا يصرف السيئات إلا هو.

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: **شَكَى النَّاسُ إِلَى رَسُولِ الله** **قُحُوطَ الْمـَطَرِ، فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ فَوُضِعَ لَهُ فِي الْـمُصَلَّى، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها : فَخَـرَجَ رَسُـولُ اللهِ** **حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ،** **فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَكَبَّرَ** **وَحَمِدَ اللهَ** **ثُمَّ قَالَ**: «**إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ وَاسْتِئْخَارَ الْمـَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ**»، ثُمَّ قَالَ: «**الْـحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللـهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِىُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ**». **ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّى بَدَا بَيَاضُ إِبْطَيْهِ،** **ثُمَّ حَوَّلَ عَلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ وَقَلَبَ –أَوْ حَوَّلَ– رِدَاءَهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ،** **ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَنَزَلَ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ،** **فَأَنْشَأَ اللَّـهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ الله، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَالَتِ السُّيُولُ،** **فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكِنِّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، فَقَالَ**: «**أَشْهَدُ أَنَّ اللَّـهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنِّي عَبْدُ اللـهِ وَرَسُولُهُ»** رواه أبو داود.

قولها: «**شكى الناس إلى رسول الله قحوط المطر**» أي: وما يصيب الأرض من جدب والماشية من هلاك بسبب تأخر المطر عن وقت نزوله .

«**فأمر بمنبر** **فوضع له في المصلى ووعد الناس يوما** **يخرجون فيه**»**؛** يستفاد من هذا: أنه عندما تصاب الأرض بالقحط بسبب تأخر الأمطار وتتضرر الماشية والزروع أن يُنقَل هذا الأمر لولي الأمر فيواعد الناس وقتا ويعيِّن لهم يوما يجتمعون فيه للصلاة والدعاء.

قولها:«**فخرج رسول الله** **حين بدا حاجب الشمس**» أي: حينما بان طرف الشمس .

قولها: «**فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَكَبَّرَ** **وَحَمِدَ اللهَ** **ثُمَّ قَالَ**: **(إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ وَاسْتِئْخَارَ الْمـَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ** y **أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ**)، ثُمَّ قَالَ: **(الْـحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللـهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِىُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ**)»؛ أي أنه عليه الصلاة والسلام شرع في الدعاء لكنه قدّم بين يدي دعائه الثناء على الله وتمجيده سبحانه ، وذكَّر الناس ووعظهم وبيَّن كمال غنى الله تبارك وتعالى وشدة الافتقار إليه، ثم سأل الله أن ينزل الغيث .

«**ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّى بَدَا بَيَاضُ إِبْطَيْهِ**»؛ وهذا إشارة إلى المبالغة في الرفع ، ففي الدعاء المعتاد تكون بطون الأكف إلى السماء أو يقنّع بهما الوجه، لكن في الاستسقاء يبالغ في رفع اليدين حتى يبدو بياضُ الإبطين.

قوله«**ثُمَّ حَوَّلَ عَلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ وَقَلَبَ أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ**» أي: جعل الباطن في الظاهر والظاهر في الباطن ، وهو مستمر في رفع اليدين يدعو الله، وقيل الحكمة من تحويل الرداء: التفاؤل بتحول الحال وتبدل الأمر.

«**ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَنَزَلَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ**» أي بعد الخطبة ، وجاء في بعض الأحاديث ما يدل على تقديم الركعتين على الخطبة ، فالأمر في ذلك واسع.

قال: «**فَأَنْشَأَ اللَّـهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ الله، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَالَتِ السُّيُولُ**» أي: نزلت الأمطار وعمت الخيرات .

«**فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكِنِّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ اللَّـهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنِّي عَبْدُ اللـهِ وَرَسُولُهُ**»؛ الْكِنّ: مَا يرد الحَرَّ والبَرْد مِن الأبنِيَة والمسَاكِن. فأصبحوا يسرعون الخطى كلٌ يدخل في بيت أو تحت خيمة حتى لا يصيبهم المطر الغزير، فلما رأى ذلك عليه الصلاة والسلام ضحك؛ لأنهم قبل قليل يشكون القحط وعدم جود الماء، والآن يهربون من غزارته وكثرته!!.

هذا وأسأل الله أن يوفقنا أجمعين لكل خير، وأن ينفعنا بما علَّمنا وأن يزيدنا علما وتوفيقا.